

الإدارة في دولة الأمير عبد القادر، الإستراتيجية والإنجازات
(1847-1832)

**Administration in the state of Emīr ‘Abd al-Qādir,
strategy and achievements (1832-1847)**

عَبْدُ الْهَادِي حُسَيْن ،

طالب دكتوراه- تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس.

الملخص:

بعد عامين من توقيع اتفاقية الاستسلام في 05 جويلية 1830 وسقوط مدينة الجزائر العاصمة، تم تعبئة السكان الواعين لإيجاد أمر يمكن أن يوحد الشعب الجزائري، الأمر الذي من شأنه أن يساهم في التنظيم وسيجذب رجال للقتال وحمل السلاح وملء الفراغ الذي خلفته المملكة العثمانية في الجزائر بعد سقوطها. تم استثمار عبد القادر بن محي الدين كأمر للجهد وقبائل الأمير الذين تعهدوا بالوفاء والولاء له، بعد فترة قصيرة، بدأ هذا الحكم يؤتي ثماره من خلال وضع استراتيجيات الأمير والمعارك المفصلية. وتألفت هذه الجهود من معارك مسلحة أو غيرها من المعارك التنظيمية أو الإدارية أو السياسية. فقد كان على الإدارة الاستعمارية فقط أن تتراجع عن عدة خطط لهزيمة مشروع الأمير عبد القادر.

الكلمات المفتاحية: الجزائر، الأمير عبد القادر، دولة، التنظيمات الإدارية، الاستراتيجية.

Abstract :

Two years after signing the capitulation agreement on 05/07/1830 and the fall of the city of Algiers, the conscious population has been mobilized to find a command that could unite the Algerian people, a command that would contribute to the organization and would attract men to fight, take up arms and fill the void left by the Ottoman in Algeria after its fall. Was invested ‘Abd al-Qādir as Emīr for the Jihad and Emir of tribes who vowed to pledge allegiance to him, after a short time, this reign began to bear fruit by establishing the strategies of state and by battles articulated. These efforts consisted of armed or other organizational, administrative or political battles. The colonial administration had only to fall back on several plans to defeat the project of Emīr ‘Abd al-Qādir.

Keywords: Emīr ‘Abd al-Qādir, administrative organization, strategic organization, battels.

المقدمة:

كانت الصدمة كبيرة على الشعب الجزائري حينما وقَّع الءاي آسين معاهاة تسليم مءينة الجزائر في 05 آوبلية 1830، على إأر مقاومة ضعيفة وغير منظمه. لكن بعء مرور سنتين من سقوط مءينة الجزائر، أأرك أهل الوعي إلى إيجاء قياءة يلف حولها الشعب الجزائري لتنظيم نفسه والإقءام على الجهاء والمقاومة المسلحة.

بُوع عبء القاءر بن مآي الءين أُميرًا للجهاء، وأُميرًا على القبائل التي بايعته وقبلت بالسمع والطاعة له. ولم تمض مءة طويلة أأى بعأأ ثمار هءه الهبة أبرز من آلال رسم إسأرائجيات أُميرية، وآوض عءة معارك مفصلية. تنوعت بين المعرك المسلحة، وأآرى تنظيمية إءارية وسياسية. لم يكن أمام الإءارة الاستعمارية إلا اللآوء إلى عءة مخططاا لإفشال مشروع الأُمير عبء القاءر.

إنَّ هءه المءاخلة، بالإضافة إلى ما سبق، أأاول الإجابة عن التسأؤل الآأى: هل كانت إنبازاا الأُمير عبء القاءر في اعآماء النظم الإءارية لءولته مسأنسخة عن الإءارة العثمانية أم آآءيأ راعى آوازناا المرحلة الجءيئة المأسمة بالصدمة والآنآول؟ وإلآراء والإجابة عن التسأؤل، وظفنا ما وقفنا عليه من مصادرا وءراساا في الموضوع، وقسمنا المءاخلة إلى مقدمة وعناصر مترابطة البناء الآاريخي، وآائمة تضمأنا أهم الاستنتاجاا.

بعء انهزام المقاومة الجزائرية أمام الجيش الفرنسي في سيبي فرآ ثم اسأاولي وسقوط آصن السلطان، وآء الءاي آسين نفسه مرآما على آوقيع على اأفاقية الاسأسلام. تضمأنا اأفاقية عءة بنوا، منها اسألام البآرية الفرنسية الأبراج والآصون ورفع عليها الراية الفرنسية.

اشأأ آوف السكآن المءنيين وآآر النهب والاعآءاء، مما آعل آلاف السكآن يغاءرون المءينة هروبا بأنفسهم ونفائس ألكاأهم، مآآآين شرقا وغربا وآنوبا¹.

كانا الجزائر، قبل سقوطها في صيف عام 1830، مقسمة إءاريا إلى آلااة أقاليم رئيسية يسمى كل منها اصألاآا (بايلك): إقليم الشرق وعاصمته مءينة قسنطينة، وإقليم الأيطري بالوسط وعاصمته مءينة المءية، وإقليم الغرب وعاصمته مءينة وهران، إضافة إلى اار السلطان التي كانت تضم مءينة الجزائر عاصمة للبلاد، وكانت أأبع الآكومة المركزية مباشرة. وكان على رأس إقليم الشرق عئناآ آآا آحمء، وإقليم الأيطري مصطفى بومرزاق، وإقليم الغرب آسن بن موسى، وكان الآاني والآالآ أركيين عثمانيين، أما آآا آحمء فقء كان كرجليا، أبوه أركي وأمه جزائرية. أعامل الفرنسيون في البءاية مع هؤلاء القاءة بطريقة آكاا تكون واحدة، وهي عرض أأبيأهم في وظائفهم بشرط الاعأراف بالسياءة الفرنسية وءفع الءنوش أو الضريبة السنوية التي اعأاوا على أأبيأها للءاي علامة على الآضوع والطاعة.

قَبَل بومرزاق باي الأيطري الشروط في أول الأمر ولكنه لم يلبأ أن أراآع، وآارب الفرنسيين فقضبوا عليه ونفوه إلى الاسكندرية آآى آوفي. وأما آسن بن موسى باي وهران فقء آمع أعيان إقليمه واستشارهم في الأمر قبل أن يرء على الفرنسيين، فرفضوا بقياءة والء الأُمير عبء القاءر الأعاون معه لظلمه السابق، فاسأسلم للفرنسيين وسلم إلهم مءينة وهران والمرسى الكبير، وكان مصيره هو أيضا النفي مثل مصير بومرزاق. وأما آآا آحمء باي قسنطينة فقء رفض الأعامل مع الفرنسيين ورجع إلى إقليمه وأعلن مواصلة الجهاء ضءهم وطلب من السلطان العثماني آحموا الآاني ءعمه والاعأراف به الممثل الشرعي الباقي من القياءة العثمانية في الجزائر.

إآمالا، بهذا آأسماا المواقف الرسمية لباياا الشرق والوسط والغرب. أما شعبيا فقء اأآأا المقاومة أشكالا متعددة منذ البءاية انألاقا من سهل مآيجة باعأباره مأصلا بمءينة الجزائر التي سقطا في أيبي الفرنسيين وأأأها جيشهم.

وأول تعبأ عن المقاومة الشعبية ظهر في أروأ السأان من العاصمة انتظاراً لما سأسفر عنه الأحداث، وبعأها لأأأ إلى مقاطعة الأسواق والتوقف عن الببع والشراء بمدينة الجزائر. كان لهذه المقاطعة أأرها الفعال على الفرنسيين لدرجة أنهم يقضون أوعا لنفاأ مؤونهم التي أأضروها معهم، ثم لأأوث ثورة أوبلية التي أطاحت بالملك شارل العاشر، وعزلت قائد الحملة على الجزائر المأريشال بورمون وتعأأ مكانه اللأاء كلوزيل.

وأمام الضبأ الذي أصبح فيه الجيش الفرنسي المحاصر اقأصاءيا في مدينة الجزائر وتناقص الموارد الغذائية، قام بمحاولة فك الحصار بأأروأ أوب مدينة الجزائر لأس نبض السأان في الأرباف وبعوأمهم للتعامل التجاري مع أسواق مدينة الجزائر، إلا أن السكان تصلبوا في مواقفهم وأعلنوا الحرب على الفرنسيين، وقأ وقعت عأة معارك حينما أأول الفرنسيون التوغل والاتأاه نحو بوفاريك والبليلة والمدينة، ودامت المقاومة أوالأ أربع سنوات.

في مدينة الجزائر ظن كثير من أعيانها أن الفرنسيين سيأترمون تعأأأمهم وبمأرد معاقبة الءاي سيجلون عن الجزائر، ومن ثمة فإن السلطة ستؤول إليهم بأعأبارهم أصحاب النفوذ والثروة والأرض، ولذلك اقأربت هذه الفئة من الفرنسيين وشارأهم في بعض الوظائف الإدارية والءينية.

أُعرف الفترة بين 1830 و1834 عند الفرنسيين بفترة التروأ وهُم يعنون بذلك أنهم بعأ احتلالهم الجزائر لم يقروا بشأن مستقبلها قرارا نهائيا؛ فهل يءعمون الاحتلال ويتوسعون فيه ويوفرون له كل الوسائل، أو يأرجون من الجزائر بعأ أن ينشؤوا سلطة محلية أأيدة أو يتعاونوا مع القأاءات السياسية والإدارية التي وأوها، أو يعأون الجزائر إلى السلطان العثماني، أو يطأرون قضيتها على أجميع الدول الأوربة لأرى رأياها في الموضع.

وللأأابة على هذه التساؤلات عأنت الحكومة الفرنسية لجنة سميت بـ"اللجنة الإفريقية" للتحقيق في الشكاوى التي ارأفعت حول الوضع في الجزائر وتقأأم الاقتراحات بشأن مستقبلها.²

وبعأما انتهت من تحقيقاتها أقأرت بأولوية الاحتفاظ بالجزائر وإأاقها بفرنسا، وتعأأ حاكماً عاماً للجزائر عام 1834 يكون تابعا لوزير الحربية إأ هو الذي يعينه؛ وبهذا صارت الجزائر تحت إءارة عسكرية.³

وبألول 1834 كان الفرنسيون قأ نجأوا في احتلال عأة أهم المأن الساحلية، وهي : وهران ومرسى الكبير، وعناية، وبأاية، والجزائر. وبعأ استلام وهران والمرسى الكبير من الباي حسن بقي الفرنسيون محصورين هناك في وضع شبه بوضعهم السابق بمدينة الجزائر؛ فقأ ألا سكان وهران عنها ولم ببق فيها إلا القليل.

وانطلقت المقاومة الشعبية التلقائية باسم الأهاد، وشنأ عأة غارات على وهران إلى أن يصلوا إلى أسوارها فيصأهم الفرنسيون المتأصنون أأأها بمدافعهم. ومن أبرز قادة هذه المقاومة وقأها الحاج محبي الءين بن مصطفى شيخ الطريقة القأارية ووالء الأمير عبأ القأار.

وقأ أأول الفرنسيون التألص من مشاكل إقليم وهران بببعه لباي تونس بمقتضى اتفاق يُعأن الباي أأد ممأليه على وهران وبعأ ضريبة سنوية لفرنسا ويعأرف بالسيادة الفرنسية على الإقليم، لكن هذا الاتفاق لم يكتب يعمر إلا شهورا قليلة، وبقي الوضع أير مستقر ما بين 1830 ونهاية عام 1832، وفي نوفمبر 1832 أأأر ذلك الوضع فقأ بابع أهل معسكر ونواأها الحاج عبأالقأار بن محبي الءين ليكون أميرا عليهم، بعأ أن رشأه والءه لهذه المهمة، وءعا الناس للأهاد فاستأابوا، ومن ذلك التاريخ إلى غاية ءيسمر 1847 هو عهد الأمير عبأالقأار.⁴

أولاً: انأازات الأمير عبأالقأار ما بين 1832-1847.

انعأأ الببعة الثانية لعبأ القأار بن محبي الءين في 13 رمضان 1248هـ ما يوافق 04 فبراير 1833، وقأ أأ في الوثيقة التي أأرها العالم الشهير محمود بن أوا المأهري: " لما انأرضأ الحكومة الجزائرية من سائر المغرب الأوسط واستولى العءو على مدينة الجزائر ومدينة وهران، وطأأأ نفسه العاتية إلى الاستيلاء على السهول والجبال، والءافأ

والتلال ، وصار الناس في هرج ومرج وحبص حبص ... قام من وفقهم الله الهداية من رؤساء القبائل وكبرائها وصناديدها وزعمائها فتفاوضوا في نصب إمام يبأيعونه على الكتاب والسنة ..."⁵.

وبهذا استقر الوضع واستتب الأمر لعبد القادر بن محي الدين أميراً للجهاد وإماماً حاكماً لمن بأيعوه على السمع والطاعة، ولم يلبأ أن بدأ في بناء أساسات الدولة الجديدة، وانجاز ما يدعم هياكلها وبنياها، وهذا ما سآراه فيما سيأتي

1- التنظيم الإداري لدولة الأمير عبد القادر.

أ- المقاطعات الإدارية.

ضمت الدولة الناشئة بقيادة الأمير عبد القادر في أول أمرها مقاطعتين رئيسيتين، الأولى مقاطعة الشرق ومقرها مدينة معسكر، وقسمت إلى سبع نواح تولى إدارتها مصطفى أحمد بن التهامي ابن عم الأمير عبد القادر، والثانية مقاطعة الغرب ومقرها مدينة تلمسان وقسمت إلى خمس نواح عيّن محمد البوحميدي الولهأاصي خليفة عليها. وبعد أن اتسعت رقعتها وانتظم أمرها تم تقسيمها إلى ثمان مقاطعات وهي كآآتي :

- مقاطعة تلمسان: مقرها مدينة تلمسان، ومرفأها رشقون، الخليفة عليها : محمد البوحميدي الولهأاصي.
- مقاطعة معسكر: عاصمتها مدينة معسكر ومرفأها أرزيو، الخليفة عليها : محمد بن أبي فريحة المهأاجي ، وبعد قتله في حصار تلمسان تولأها مصطفى بن أحمد التهامي (صهر الأمير).
- مقاطعة مليانة: مقرها مدينة مليانة ومرفأها شرشال، وتولى تسييرها محي الدين بن علال القليعي، ثم أحد أقاربه : محمد بن علال بن مبارك.
- مقاطعة التيطري: عاصمتها مدينة المدية، وليّ عليها مصطفى بن محي الدين وهو أخ الأمير، ثم عزل وولي مكانه محمد بن عيسى البركاني.
- مقاطعة مجانة: عاصمتها مدينة سطيف ، ولي عليها محمد طوبال بن عبد السلام المقراني ثم محمد الخروبي القليعي وأخيراً محمد بن عمر العيساوي.
- مقاطعة الزبيان والصحراء الشرقية: ومقرها مدينة بسكرة ، ولي عليها على التوالي : فرحات بن سعيد ثم الحسن بن عزوز ثم محمد الصغير بن عبد الرحمن بن أحمد بن الحاج.
- مقاطعة برج حمزة: عاصمتها برج حمزة (البويرة)، ولي عليها أحمد بن سالم الديبسي.
- مقاطعة الصحراء الغربية: عاصمتها مدينة الأغواط، ولي عليها قدور بن عبد الباقي⁶ وقد استقر هذا التقسيم الإداري إلى 1847.⁷

وهؤلاء الخلفاء المدنيون يتحولون في حالة الجهاد إلى قواد عسكريين يديرون شؤون الحرب. وبالإضافة إلى تقسيم البلاد إلى مقاطعات تم تقسيم المقاطعات إلى دوائر خاصة ، ووضع على كل دائرة آغا، وكل دائرة تضم قبائل عديدة تتفرع إلى بطون وعشائر، ويحكم القبيلة قايد والعشيرة شيخ.⁸ إن اللامركزية الإدارية التي كانت تعطى كامل السلطة للموظفين كل في دائرة اختصاصه، لم تكن تنقص في شيء من سلطة الأمير لأن كل الإداريين من الخلفاء إلى الشيوخ، كانوا يعطون أوامرهم بتفويض حكم، وهو ما كان يمنح هذا النظام مرونة كبيرة.⁹

واهتم الأمير عبد القادر بوضع نُظم لإدارته بعد مبايعته الأولى في نوفمبر 1832؛ فاتخذ مدينة معسكر عاصمة للدولة، ومقرّاً لسلطته المركزية ، وشرع في تكوين حكومة جزائرية تسهر على تسيير الدولة الناشئة، وحرص على ضم العلماء وشيوخ القبائل في تسيير شؤون الدولة؛ فأنشأ مجلساً شوريا سامياً وأنشأ وزارات متنوعة المهام.

ب. المجلس الشورى الأعلى.

- ### د. التنظيم القضائي.

ثانيًا: التنظيم الاستراتيجي لدولة الأمير عبد القادر.

1- الجبهة الدفاعية الساحلية.

43

الخاتمة.

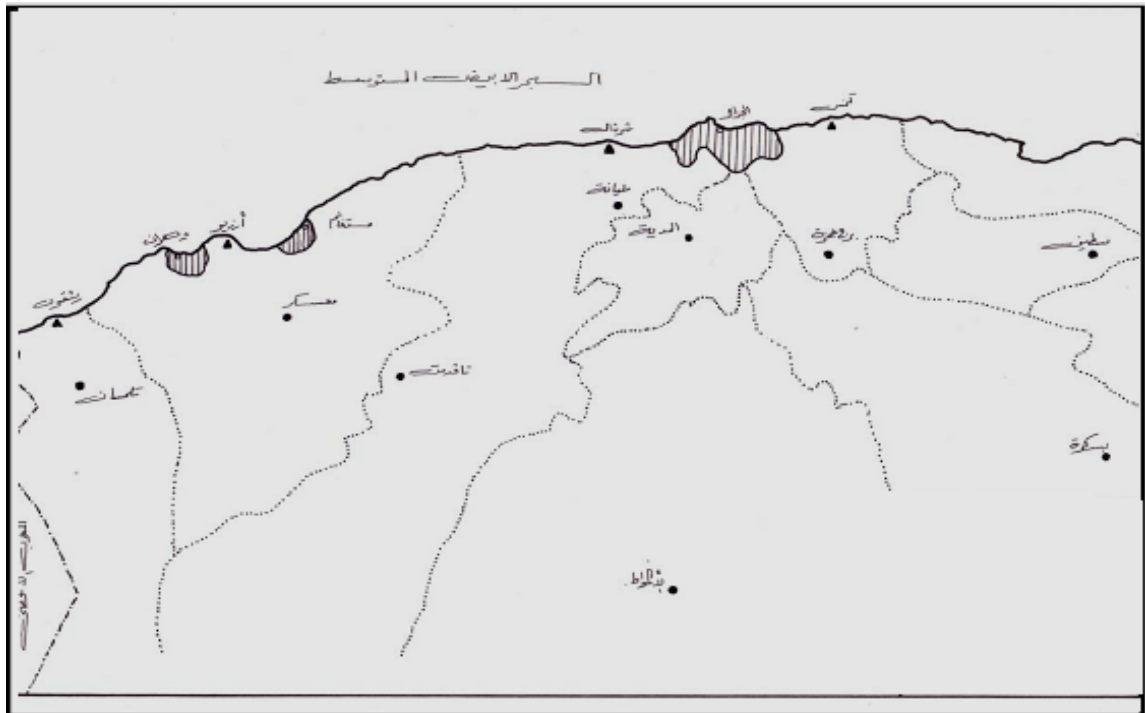
شكّلت الفترة الاستعمارية الأولى ما بين 1830 و1848 تهديدًا واضحًا وخطيرًا على مصير ومستقبل الجزائر، فقد كانت الأحداث المتتالية صدمةً للسكان، وتحولًا في تاريخ الجزائر المعاصر عبر مستويات مختلفة. وبالنظر إلى ردود الفعل الوطنية الجزائرية تجاه الواقع المفروض من طرف السيطرة الكولونيالية، تمخضت قطيعة حاسمة ظهرت من خلال انعكاساتها وتداعياتها، ومهدّت لبروز شخصية الأمير عبد القادر في صورة القائد الذي جمع بين الشأن الجهادي وتنظيم الدولة.

وانطلاقًا من الإستراتيجية الاستعمارية الفرنسية، التي رسمت عدة مخططات ومشاريع لمواجهة مشروع الأمير عبد القادر، كان للإدارة دورًا فعالًا في تثبيت التوازنات والتقليل من الفوارق التي ظهرت على ساحة الصراع، وخاصةً كفة التفوق العسكري المعصرون لصالح الفرنسيين.

ويمكن للباحث في هذا المقام أن يدرك بعمق الأوجه المتعددة للدور الذي كانت تمثله الإدارة في التناغم مع الجهد الحربي والتنظيمي. ولا أعظم دليلًا من استلهاهم الإدارة الاستعمارية من النظم الإدارية لدولة الأمير عبد القادر واعتراف بيجو بعبقرية الأمير في تنظيم الجزائر إداريًا، ومن ثم تكيف الاستعمار معها، ثم التحول بعدها.

كانت الإدارة في دولة الأمير عبد القادر أداة لخدمة القضية الجزائرية، امتزج فيها البعد التنظيمي مع البعد الإستراتيجي، مما أمدّ في عُمر جهاد ومقاومة الأمير ابتداءً، ثم مصدر اقتباس للإدارة الاستعمارية الفرنسية لاحقًا.

ملحق رقم (01): التقسيم الإداري للإقليم في دولة الأمير عبد القادر 1837-1839



- ¹ أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير 1830-1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ص 19
- ² إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1982، ص 80
- ³ محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954، ترجمة: محمد المعراجي، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2008، ص.ص 32-33
- ⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص.ص 27-28
- ⁵ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 43
- ⁶ يُنظر الملحق رقم (01).
- ⁷ أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج 2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط 2، 2004، ص.ص 51-52
- ⁸ Benachenhou, (A), *L'Etat Algerien en 1830 ses institutions sous l'Emir Abdelkader*, ENAG Editions, Alger, 2009, pp.82-83.
- ⁹ عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير، منشورات دحلب، الجزائر، 2009، ص 95.
- ¹⁰ مثل الاستشارة التي أرسلها الأمير في شكل فتوى (متكون من تسعة أسئلة) إلى علماء فاس بواسطة السلطان مولاي عبد الرحمن، بتاريخ 19 ذي الحجة 1252هـ (ما يوافق 28 مارس 1837م)، يُنظر محتواها: Benachenhou, (A), *Op.Cit*, p.p.88-91.
- ¹¹ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 221؛ أديب حرب، المرجع السابق، ص.ص 44-45.
- ¹² صُنعت الراية من الحرير على ثلاثة أجزاء أعلاها وأسفلها خضروان وفي الوسط أبيض، رُسمت فيه يد مبسوطة وكُتب حولها بشكل دائري عبارة: "نصر من الله وفتح قريب، ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين" والرسم والكتابة مطرزان باللون الذهبي، وقد عيّن الأمير عبد الله بن يوسف لحملها. أما خاتم الدولة فهو كبير الحجم مستدير الشكل في دائرته: ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في أجامها تجم.
- ¹³ وفي جوانبه "الله، محمد، أبوبكر، عمر، عثمان، علي. وفي الوسط الواثق بالقوي المتين، ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين". والتاريخ: 1248هـ يُنظر: محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ط 1، الاسكندرية، 1903،
- ¹⁴ توصلت عدة دراسات علمية في موضوع سكة الدولة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، إلى إثبات النظرة الإستراتيجية التي تميّز بها تخطيط الأمير في الميدان التنظي، والسعي لتحقيق استقلالية في الميدان المالي، تحمي الدولة الناشئة.
- ¹⁵ Contribution de Guerre، كالتى رفض دفعها مصطفى بن إسماعيل المناوئ لدولة الأمير عبد القادر.
- ¹⁶ هو كاتب قديم لبايات وهران، رأى الأمير نزاهته وخبرته الإدارية كما أظهر وفاء ملحوظا لدولة الأمير.
- ¹⁷ أديب حرب، المرجع السابق، ص.ص 43-44.
- ¹⁸ محمد الطيبي، "الدراية المعرفية والتدبير السياسي قراءة في الإرهاصات الجيوسياسية للفكر الأميري"، ضمن كتاب تبر الخواطر في فكر الأمير عبد القادر، تأليف جماعي، إعداد وتنسيق عبد القادر بوعلافة، مخبر الأبعاد القيمية للتحويلات السياسية والفكر بالجزائر، دار القدس العربي، وهران، 2010، ص.ص 59-100
- ¹⁹ هو أحمد بن الهاشحي المراجي
- ²⁰ أديب حرب، المرجع السابق، ص.ص 45-46.
- ²¹ الجيلالي صاري، "دور البيئة الطبيعية في استراتيجية الأمير عبد القادر"، مجلة الثقافة، العدد 75، السنة 1983، ص.ص 103-104.
- ²² تمّ إنشاء مصنعا لصيانة المدافع في تلمسان، ومعملا للبارود في معسكر، ووللأسلحة في مليانة، ووظف فيها خبراء أجانب؛ ففي مليانة وظف فوريي Fourier، وفي تلمسان Gestring من ميونيخ، وبروسي اسمه Eulsen.
- ²³ Rachid (B), « Places forts et etablissements militaires fondé par l'Emir A.E.K », *Majalet Et-tarikh*, 1^{er} Semestre, Alger, 1983, p.p.33-48.
- ²⁴ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 224؛ الجيلالي صاري، المرجع السابق، ص 107.